

مخرجة دكتاتورية تبحث عن التميز في روايات الكبار

كاملة أبوزكري

سيدة المهام الصعبة في الدراما المصرية

محمد عبدالمهدي
صحافي مصري

تمكنت كاملة أبوزكري من حفر اسمها في صناعة الدراما المصرية خلال العقد الأخير، بعدما تبنت اتجاهها فنيا مغايرا لأبناء جيلها، فلم ترضخ لضغوط المنتجين في فرض أسماء بعينها على فريقها للعمل، وتحالفت على غياب أوراق السيناريو الجيدة باقتراح روايات ثرية على الكتاب ونقلها إلى عالم المسلسلات، محافظة على تقديم مضمون يتسم ببراء الأحداث والمشاعر النفسية العميقة في الوقت ذاته.

وتسير أبوزكري، التي ولدت في القاهرة عام 1974، على درب جيل الرواد من المخرجين في الاهتمام بالتفاصيل، وتقديم رؤى جريئة ومغايرة حتى لو كانت صادمة، ممتلكة نظرة مختلفة تستطيع بواسطتها إعادة اكتشاف مؤهلات الممثلين، فتنفذ بعضهم إلى ساحات غير متوقعة، وتقلهم بسلاسة من حلبة الأدوار المركبة إلى ساحة الكوميديا والعكس، دون خوف أو تردد. دائما ما تثير الجدل داخل الساحة الفنية، لعجزها عن اتباع اللغة المتلونة التي يتحدث بها الفنانون عن بعضهم في تجارب فنية مشتركة، وتبدي رأيها صراحة في شخصياتهم وتجاربهم، ما يجعلها مخرجة وناقدة في الوقت ذاته، وهو أمر غير معتاد في وسط يقاتل كثيرا على الجمالة.

أثارت مؤخرا معركة محتدمة على مواقع التواصل الاجتماعي، حين اتهمت عددا من الممثلين الذين دعت بهم لفريق مسلسلها الأخير "100 وش" بالغرور رغم محدودية شهرتهم، وتعرضت لهجوم من ممثلين كبار لم تقصدهم بعدما أنهت تجاربها بعبارة "أنتم مين أصلا؟".

ضد الجميع

تمتلك تعريفا خاصا للفن تحصره في الالتزام والمصداقية، ولا تتردد في حذف مقاطع من أعمالها، بصرف النظر عن جسدها حال إخلالها بالسباق، فلما فعلت مع أحمد الفيشاوي باقتطاع 15 دقيقة من دورها في فيلم "يوم للسيدات"، وشظيت دور الفنانة سماح أنور بالكامل عندما وجدت أن مظهر الشعر المستعار الذي ترتديه سيء تمثيلا، مع أنها اضطرت إلى خلق شعر رأسها استجابة لمطالب المخرجة لأجل مشهد لا يتعدى أربع دقائق.

الفضل في تشكل الوعي

الإخراجي لها يعود إلى عملا كمساعدة لأجيال مختلفة من المخرجين، مثل عاطف الطيب رائد المدرسة الواقعية في السينما، ونادر جلال الأشهر في مجال أفلام الحركة والأكشن، ورضوان الكاشف أستاذ القصة المساوية القاسية

وتتعرض كثيرا لاتهامات لا تنكرها من قبيل الدكتاتورية، يفرضها شروطا شديدة الصرامة لضمان ظهور كل ممثل وممثلة بشكل منطقي. فمثلا أجبرت إلهام شاهين رغم اسمها الكبير على الحفاظ على وزنها لمدة 36 شهرا، حين استكمال تصوير دورها، بعد تعطل تصوير أحد الأعمال بسبب أحداث الثورة المصرية، والزمت نيللي كريم بإبقاء حواجبها دون تهذيب، وناهد السباعي بتقصير شعرها لعدة أشهر من أجل الدور.

ترفض المخرجة المصرية أي قيود أو اعتبارات حال تعارضها مع الرسالة الفنية، ففي مسلسل "واحة الغروب" المأخوذ عن رواية الأديب بهاء طاهر تحمل نفس الاسم، لم تتهرب من تقديم مشهد الانجذاب العاطفي المثلي بين

أبوزكري تسير على درب جيل الرواد في الاهتمام بالتفاصيل، وتقديم رؤى جريئة ومغايرة حتى لو كانت صادمة، متسلحة بنظرة مختلفة تعيد اكتشاف مؤهلات الممثلين.

قيمته الكبيرة، وترى أنه ليس شخصية تاريخية كي يتم تناوله ويجب ترك صورته في عين جمهوره كما هي دون تقليد في حياته المليئة بالأسرار مثل غيره من الفنانين الكبار. ترك أبوزكري لنفسها فرصة التقاط الأنفاس بين عمل وآخر، للتقييم والبحث عن الجديد والمختلف، وتمسك بأن تكون صاحبة الكلمة الأولى والأخيرة في توظيف الكاميرا، فلم تراجع قبل أعوام عن الانسحاب من مسلسل "زي الشمس" بعد تصويرها تسع حلقات، والمطالبة بحذف اسمها من مقدمته، احتجاجا على محاولة الجهة المنتجة فرض كلمتها، واعتبرت المخرج مايسقرو العمل، ولا يصح أن يكون ضعيفا أو منساقا، فهو يستشير الآخرين لكنه صاحب القرار، معللة انسحابها برفضها أن تكون "طرطور"، وهي كلمة نابية تطلق على ضعيف الشخصية.

أعمال ناجحة، ومديرة التصوير نانسى عبدالفتاح ذات الميول الفنية التشكيلية، والملحن تامر كرمان، ومخرج المقدمات الغنائية عطية أمين، زميلها وشريكها في أعمال عدة، رغم تخصصه في الإخراج. لكنها تعرف حدود عمل كل عناصر المنظومة، فلا تتناهبها الغيرة الداخلية من تحقيق أبطالها الشهرة على حسابها، وتعتبرها ضرورة من ضرورات الصناعة التي تجعل من أمام الكاميرا يحصل على مزايا عن يقف خلفها، ولم تدفع بنفسها للعب دور في أعمالها كغيرها من المخرجين لكي تكون وجهها معروفا للجمهور.

شخصية عنيدة

تتسم أبوزكري بشخصية عنيدة مثابرة، ففي تصوير مسلسل "ذات" رفضت اقتراح الإنتاج بتغيير السيناريو للتخلص من إحدى بطولات العمل التي اعتادت التأخر عدة ساعات، واستحدثت نمطا من العقاب شديدا بأسلوب المعلمين في المدارس، فنادتها طوال جلسات التصوير باسم الشخصية التي تؤديها، وليس اسمها الحقيقي، بما يتضمن نوعا من التوبيخ والتأنيب.

ترى أن الحياة لا تستقيم إلا بالبحرية، لذلك أطلقت على ابنتها اسم "أبيّة"، وتقول إن النصيحة التي توجهها لها باستمرار هي "عيشي حرة دائما"، ويمتد هذا العشق إلى الفن حين سألها مديع مشاكس عن أول قراراتها حال اختيارها وزيرة للإعلام ليوم واحد فقط ردت دون تردد "إلغاء الرقابة".

من المنطلق ذاته، خالفت الرأي السائد في الوسط الفني حول الثنائي عمرو واند وخالد أبو النجا، واعتبرتتهما فنانين خسرهما الفن بسبب المواقف السياسية، وبرت دفاعها عنهما إزاء حملات التشكيك في الوطنية والتخوين، بحق كل إنسان في تبني الآراء والأفكار التي يريدها.

تنتقد أبوزكري تأثير الاحتكار على الفن الذي يهدد حياة الكثير من الأشخاص الذين يقاتلون من العمل في المسلسلات، وصنفت الدراما

محاولة للإقناع بالفكرة لبيدا بعدها التفويض عن كاتب لتحويل الأحداث الروائية إلى حوارات حية، فالعملية الإخراجية لها شعور وجداني في المقام الأول.

عشق الأدب

وقعت أسيرة لعالم الأدب، فقدت من أرففه روايتي "ذات" للأديب صنع الله إبراهيم، و"واحة الغروب" لبهاء طاهر، ومسرحية "سجن النساء" لفتحية العسال، في مخاطرة كبيرة، فتفتح مقارنة مستمرة بين العمل الفني والقصة الأصلية، وما تحمله في أحشائها من جماليات فنية وإبداعية وقدره على مداعبة الخيال.

لا يمكن عزل ذلك العشق عن كونها ابنة الكاتب الصحافي الراحل وجيه أبوزكري، الذي وضع مؤلفات شهيرة مثل "مذبحة الأبرياء في 5 يونيو"، و"الزهور تدفن في اليمن"، و"أنواع من النساء"، وحرب أكتوبر شهادة إسرائيلية، ولم يكن بعيدا عن عالم السينما بعدما كتب أعمالا شهيرة مثل "ضد الحكومة"، و"ملف سامية شعراوي"، و"الشيطان يستعد للرحيل"، و"العصر"، و"التحويلة".

وهي تعمل حاليا على تحويل المجموعة القصصية "تحت المظلة" للأديب الكبير نجيب محفوظ إلى عمل سينمائي بالتعاون مع كاتبة السيناريو مريم نعيم، في انتقاء يكشف استمرار

تعلقها بالأعمال ذات الصيغة التاريخية، واختيارها لعمل تمت كتابته بعد نكسة يونيو 1967، ملء بالرمزية عن صعود وهبوط الشخصية المصرية.

رغم تعلقها بالماضي، لكنها رفضت تقديم السير الذاتية للفنانين الذين يتم تصويرهم بمصر غالبا ما يتم في صورة ملائكية بلا أخطاء، ورفضت بقوة تحويل قصة حياة الفنان أحمد زكي

إلى مسلسل رغم

ما يهيمها هو جودة الصناعة في المقام الأول، فتقول إنها لو تعاملت مع فنان بقيمة عادل إمام في عمل مشترك، ستأخذ مشورته في فريق العمل، ملمحة إلى أن القرار النهائي سيكون لها، ودخلت في خلاف مع صديقها مريم نعيم بسبب تأخيرها في تسليم سيناريو حلقات أحد المسلسلات المشتركة بينهما، ما يعطل قدرات الإخراج على التحضير للعمل ومراعاة متطلباته الوقتية.

لا تزال كاملة أبوزكري تفضل السينما على الدراما، رغم النجاح الذي حققته مسلسلاتها، باعتبار الأولى تتضمن مساحات أكبر من الحرية دون دعوات الحفظ المرتبطة بجمهور الدراما الواسع، وتعتبر أن تخلي الممثلين عن الأدوار الجريئة أفقد الأفلام جزءا من سحرها وإلقائها.

